أنا إنسانة

مها أحمد حسنين

أنا (ميرنا) طبيبة نفسية، من كثرة المرضى الذين لا يريدون الإفصاح عن هويتهم، ويحدثونني ب(أكونتات) مستعارة فقد قررت أن أُدون إيميلي على موقع صراحة وأي شخص يريد مساعدة فأنا في خدمته أو يقص قصته ، يستفسر عن شيء، دون الإفصاح عن هويته الحقيقية وأنا أضع لهم الحلول المناسبة كنوع من الدعم النفسي ، لكن اليوم قد جائتني رسالة من فتاة حطمت قلبي تحطيماً فقد أرهقتني حتى عجزت أناملي عن كتابة حل لمشكلتها، لكني حاولت أن أظهر لها القوة ودعمتها ببعض الكلمات التي حاولت أن أُلملم بها أشلاءها المبعثرة بين ثناياها التي تعيش بها الآن، كم أتمني مساعدتها، لكني تحدثت مع بعض الزملاء وأكدوا لي أنه لا ظهور لمرض كهذا، سأنسخ لكم ما قالته لي بالتفصيل وعليكم الدعاء لها ...

صباح الخير دكتورة ميرنا ،أنا أحبك كثيراً ،وأتابعك ، وسعيدة بموقع صراحة جدا ، لأقص قصتي دون أن يعرفني أحد وأتحدث بطلاقة وفي الخفاء ....

أنا الحرباء ،الثعبانة ،العقربة ... هكذا يطلقون علي هذه الأسماء ليس لأفعالي، إنها لحالتي الصحية فقد ابتلاني رب العالمين بمرض عجيب ، غريب ، نادر ، (ممسوسة) ، حقيقةً لا أعرف ، مما جعل كل من حولي يلقبونني بهذه الأسماء، كم أنا حزينة حد السماء ، أنا طيبة القلب ،

دائماً مبتسمة رغم ما بي من أوجاع، لكن بداخلي نارا لا تنطفىء أبداً ؛ مما يُقال لي أمامي و لا أستطيع الدفاع عن نفسي فأنا حقاً موجوعة وأتمنى من الله أن يأخذني إليه ليرحمني مما أنا عليه الآن.

أبلغ من العُمر السابعة والعشرين عاماً أعمل في (محل) بقالة بجانب منزلي بسبب مظهري الذي يسبب لي المشاكل هل تريدين معرفة ما بي ؟

جسدي يغير جلده كالحية كل فترة هل لكِ أن تتخيلي؟ !

تأتي علي الأيام القمرية في الشهور الهجرية ويبدأ جسدي بالتقشير دون أن أشعر، أنظر لجسدي في المرآة وأبدأ بإزاحة جلدي جزءا تلو الآخر كالبيض المسلوق ، أنا لم أعد أتألم؛ فقد اعتدت الأمر، أنا فقط أشعر بالشفقة على نفسي وجلدي يتساقط أمام عيني ولا أستطيع فعل شيء و لكِ أن تتخيلي !

ويكتمل ابتلائي أن شعري أيضاً يتغير لونه مع لون عيني كالحرباء، ذات يوم ذهبت مع والدتي التي تموت قهراً بسبب وضعي إلى (محل) ملابس فأعجبت بفستان أحمر اللون ذات أكمام طويلة ويلتف حول الخصر حزام في غاية الجمال فارتديته وأمي تقف بجانبي تنظر لي بكل حنان حتى تساقطت الدموع من عينيها وبدأت بالارتباك قائلة: عليك أن تبدليه الآن لنخرج بسرعة من هنا .

نظرت لها باندهاش قائلة :ماذا به يا أمي؟!فقط أحببته .

وأثناء حديثي معها ذهبت تجاه المرآة وهي ترفض بشدة إذ قد تغير

لون عيني وشعري إلي الأحمر الدموي كشبح من أفلام هوليوود .

فبدأت أتحسس نفسي جيداً وأنا انتفض من الخوف لا أُصدق ما أرآهُ والدموع تنهمر بغزارة فبدلت ملابسي وأنا مسرعة إلى الخارج .

رأتني الفتاة التي تعمل ب (المحل) ففزعت من مظهري وبدأت بالصراخ بصوتٍ عالٍ حتى جاء مالك (المحل) وبدأ في إهانتي وطردي أنا وأمي لكِ أن تتخيلي !

فأنا كما يدعون حقاً ، هل تعلمين أن والدي متبرأ مني ليوم الدين ويقول عني أنني غضب من الله عليه؟! أعلم أنني أرهقته مادياً لذهابي للكثير من الأطباء لكن دون جدوى، الغريب في الأمر أيتها الطبيبة أنني منذ الصغر وأنا بكامل صحتي حتى حدث معي شيء غير لي مجرى حياتي!!

أنا أقطن في قرية ريفية و لأننا نستخدم المياه بمقدار فكانت أمي تغسل الأواني في إناء كبير حفاظاً على الماء ، والماء المتسخ كانت تسكبه بعيداً عن المنزل ببضعة أمتار لعدم وجود (مجاريٍ) لكن ذات يوم مرضت أمي وأنا من توليت أعمال المنزل لأنني الكبرى، و بعد الانتهاء من غسل الأواني أخذت الماء وسكبته أمام المنزل وكان في الساعة الحادية عشر مساءً و هذا الوقت متأخر في قريتنا عندها شعرت كأن أحدا أمسك بيدي وبدأ بالضغط عليهما بشدة فهممت مسرعة إلى الداخل ورويت لأمي ما حدث، في اليوم التالي بدأت تظهر علي بعض الأعراض فأخذتني أمي إلي الخالة(بهية) التي تعمل في علاج المس و الحسد بعد ما قصت أمي عليها ما حدث بدأت تقرأ القرآن حتى تساقط جلدي أول مرة

أمام عيني ولم تستطع مساعدتي بشيء، و بدا عليها الخوف والفزع، أتذكر أنها أخرجتنا من منزلها وأخبرت أمي أنها لا تريدها أن تأتي لها مرة أخرى .

كنت أحب شابا، هو ابن خالتي كانت العائلة كلها تعلم بحبنا، كان ينتظر أن يؤدي الخدمة العسكرية ثم نتزوج، ذات يوم بعد هذه الحادثة كان جالسا بجانبي وممسكا بيدي ونتحدث بهدوء وفجأة بدأت عيناه تتسعان في دهشة، وانتصب واقفا وهم بالخروج قائلا لوالدتي :أنا لا أريدها ابنتك تشبه القرد الآن انظري لها جيداً ، قد كسرني بشدة هذا الكلام، وقال أيضاً أنني حرباء في لساني ليس بمظهري فقط هل لكِ أن تتخيلي ؟!

ذات يوم استقليت الباص وأثناء دفع (الأجرة) للسائق فقدت أظافري وتساقط جلدي فنظر إلي السائق باشمئزاز وبدأ بتوبيخي .

لماذا أنا ؟ لا أعرف .

لكني أعرف ماذا أريد .

أريد أن يعاملني الناس كإنسانة، و ليس كحيوان، فأنا مريضة أياً كان نوع المرض: مرض جلدي، مرض نفسي، أو مرض بالجن والمس، أريد أن أخرج كباقي الفتيات، أريد أن أتزوج ،أريد أن أدخل(محلا) وأشتري ملابس دون خوف ولا إهانة، أريد أن أتعامل باحترام من أبي وأقاربي والغرباء فأنا إنسانة وقد ابتلاني ربي واختبرني وأنا صابرة على ذلك ، لا أريد إشفاقا من أحد أريد فقط الدعاء لي لأن رب العالمين هو وحده يعلم مابي وكم أتألم دون أن أروي لأحد ...أشكرك على قرأتك لرسالتي .